صفحة تصدر بالتعاون مع الجمعية النفسية العراقية
iraqipa@hotmail.com

العرب.. أكثر المجتمعات تعرضاً للإصابة بالشيزوفرينيا والقلق

أ.د. قاسم حسين صالح

المشهد النفسي

في السنوات الأخيرة،ظهر منظور جديد في تفسير الاضطرابات العقلية والنفسية،هو المنظور الاجتماعي الحضاري Sociocultur طرح وجهة نظر غير تقليدية،خلاصتها أن الظروف البيئية السيئة والأحداث السياسية والاجتماعية الضاغطة هي السبب الرئيس في الاصابة بالأمراض العقلية والاضطرابات النفسية،بل إن فريقاً داخل هذا المنظور يطلق على نفسه (البنيويين الاجتماعيين) ذهب الى أبعد من ذلك بقوله:إن الشيزوفرينيا ليست مرضاً Disease يصيب الدماغ،إنما هي ناجمة قطعاً عن ضغوط نفسية أسرية واجتماعية وحضارية،وان مفردة (الشيزوفرينيا) ليست سوى عنوان أو (وسمة) Label اجتماعية يضفيها المجتمع على الأفراد الذين يعارضونه لكي يبرر سيطرته عليهم والتحكم فيهم،ولتصبح هذه التسمية من ثم مؤشراً على الاصابة بالشيزوفرينيا،فيقوم الأفراد المصابون بها بتصرفات غريبة أو شاذة على وفق ما هو متوقع أو مستقر في العقل الجمعي للمجتمع،عن الشخص المصاب بالشيزوفرينيا.

ولقد حظي المنظرون الاجتماعيون الحضاريون،لاسيما البنيويون منهم بجلب انتباه الناس اليهم بقولهم:هنالك مجتمعات أو حضارات أو ثقافات تعرض أفرادها للإصابة بالقلق والشيزوفرينيا أكثر من غيرها.وقاموا بدراسات عبر مجتمعات حضارية متنوعة،فوجدوا أن الناس الذين يعيشون في أقطار تمر بتحولات اجتماعية سريعة،وقمع سياسي،وحروب،وتناحر،وقيم صارمة،تظهر لديهم حالات الفصام واضطرابات القلق بأنواعه الخمسة بشكل يفوق المجتمعات المستقرة.

في ضوء وجهة النظر هذه التي تبدو منطقية،وفي ضوء حقيقة أخرى هي أن معظم البيئات العربية محملة بالضغوط الاجتماعية والسياسية والثقافية،وربطنا لها بحقيقة نفسية تقول:إن البيئة المحملة بالضغوط والأحداث الصادمة والاحباطات تولّد قلقاً مزمناً وشاملاً،يتطور الى اضطرابات قلق وفصام،فإننا نتوقع أن تكون الاصابات بالاضطرابات العقلية في مجتمعاتنا العربية أعلى من أي نسبة في العالم.غير اننا،كالعادة،نخفي عيوبنا.فنحن الوحيدون في العالم الذين لا نعطي أرقاماً صحيحة حتى بأعداد موتانا،فكيف بـ((المجانين)) بيننا؟! ذلك ان السلطة في مجتمعاتنا مصابة بـ (البارانويا) ..أعني انها تضع نفسها دائماً في موضع الشك والاتهام،حتى لو كانت بريئة منه فعلاً !

في دراسة لسيكولوجية البطالة لدى عينة من حملة الشهادات في العراق

نشعر بالاكتئاب والاغتراب والنفور من الوطن

حامل الشهادة الأكاديمية المعطّل قسراً عن العمل ،هو عقل قُطع نسله الفكري وعطلت نزعته الاجتماعية للتفتح ،بعد أن أزدريت جهوده لبناء شخصيته العلمية على مدى زمني لا يقل عن عقد ونصف من الدراسة والتفكير الموضوعي ،فضلاً عن النفقات الجدية المقتطعة من خزانة الدولة خلال هذه المدة التي تزيد على عمر جيل بأكمله.وهذا يعني ببساطة أن انتشارالبطالة بين أصحاب الشهادات من فئات عمرية مختلفة في أي مجتمع ،يعني إخصاء اعتبارياً ونفسياً لأجيال متعاقبة من نخب ذلك المجتمع ،تكنوقراطاً ومثقفين.

(٩٠)٪ يفضلون الهجرة النهائية الى خارج العراق

أكثر من (٨٠)٪ يشعرون بالاكتئاب ،وعلاقاتهم بعوائلهم أصبحت لا تطاق

(٨٤)٪ يرون أن المسؤول عن بطالتهم هو الاحتلال والحكومة الحالية

الطبقة الوسطى في العراق تعاني عجزاً وضموراً إضافيين

فارس كمال نظمي
عادل صادق جبوري

عدد الأكاديميين وأصحاب الكفاءات العلمية الذين تركوا العراق وأقاموا في الخارج في العام ١٩٩٩ وحده بلغ (٢٣٠٠٠) فرد، فما هي الاجراءات التي اتخذتها الحكومة المؤقتة الحالية للتعامل مع هذه المعطيات الكارثية؟

إذا ما عدنا الى الحلول الارتجالية التي طرحتها وزارتا التخطيط والعمل لتطويق التفشي المستمر للبطالة،لن نجد أكثر من اجراءات شكلية وتصريحات مكتبية متفائلة أمام وسائل الإعلام عن (انجازات) مكاتب التشغيل،وعن توفير فرص عمل (وهمية) تقدر بمئات الآلاف في مختلف مؤسسات الدولة!فقد أصبح من المعلوم على نطاق واسع في الشارع العراقي أن مقاولات الإعمار لم ولا تمنح لشركات عراقية مباشرة،بل تمنح الى شركات أمريكية تمنحها بدورها الى شركات أخرى غير عراقية،وعندما تستقر عند مقاول عراقي تكون المبالغ قد تقلصت الى نسبة (١٠ %(15– من المبلغ الأصلي طبقاً لبعض التقديرات،وهذا يعني أن أكثر من (٨٥)٪ من المنح المقدمة لإعادة اعمار العراق يمكن عدّها (عمولات) ذهبت وستذهب مباشرة الى أرصدة أفراد وشركات لا يعرفون حتى موقع العراق على الخارطة.إن هذه الوقائع الاقتصادية المتصلة عضوياً بأشد أنواع الفساد الاداري الذي لم يشهد تأريخ العراق الحديث له مثيلاً،ابتداء من تفكيك مصانع العراق وجرف تربته وتسليب نفطه،ثم تهريبه بالشاحنات الى الدول المجاورة على مرأى ومسمع الجميع،وانتهاء بشفط ملايين الدولارات من عقود تنظيف المدن وصبغ المدارس وبناء الأرصفة واستيراد الأدوية ومواد الحصة التموينية،إنما تؤشر بوضوح إلى حجم العواقب الاجتماعية والنفسية لهذه المآسي الاقتصادية،ومنها محنة البطالة.ففي بلدان لم تمر باستبداد وحروب واحتلال كالتي مر بها المجتمع العراقي عبر أكثر من ثلاثة عقود،توصلت الدراسات الى أن ارتفاع نسبة البطالة فيها أدى الى ارتفاع نسب الاكتئاب والقلق ونوبات الغضب ولوم الذات،والى انخفاض في تقدير الذات،ونشوء نزعات نحو مركز التحكم الخارجي (أي عزو أسباب الأحداث الى قوى غيبية خارجية بدلاً من عزوها الى النشاطات البشرية)،والى تدهور ملحوظ في النظام المعرفي والانفعالي،لديالأفراد العاطلين عن العمل.فماذا بشأن الآثار المدمرة المستمرة التي تركتها وتتركها البطالة في شخصية الفرد العراقي،لاسيما اذا كان حائزاً على تحصيل أكاديمي يؤهله لمهنة راقية،للعقل دور أساسي فيها ؟

وللحصول على مؤشرات احصائية تفيد في التعامل الفاعل مع أبعاد هذا السؤال،أجرينا مسحاً معلوماتياً شمل عينة من الجنسين،تضم حملة شهادات أكاديمية عاطلين عن العمل،من اختصاصات علمية متنوعة،بضمنهم من يحمل شهادة عليا في اختصاصه،ومن مناطق سكنية مختلفة في مدينة بغداد، وقد تم حصر أهم النتائج بالآتي:

❖ (٨٠)٪ مضى عليهم أكثر من (٣) سنوات عاطلين عن العمل،أي إن بطالتهم بدأت خلال العهد السابق ولا تزال ممتدة حتى اليوم.

❖ (٤٤)٪ يرون أن (الاحتلال الأمريكي) هو المسؤول عن أستمرارأزمة البطالة الحالية،مقابل (٤١)٪ يرون أن (الحكومة الحالية) هي المسؤولة عن ذلك،فيما ألقى (١٥)٪ فقط بالمسؤولية على (تدهور الوضع الأمني) و (النظام السابق).

❖ (٩٠)٪ أكدوا بأنهم سيهاجرون من العراق نهائياً لو أتيحت لهم فرصة للعمل والاستقرار في الخارج،مقابل (١٠)٪ أعربوا عن ترددهم.ولم يرفض أي من أفراد العينة فكرة الهجرة بشكل قطعي.

❖ (٨٣)٪ حددوا مصدر عيشهم الحالي بـ(إعانات من الأهل والأقارب)،مقابل (١٧)٪ بـ(مدخرات شخصية).ونفى جميع أفراد العينة أن يكونوا قد تلقوا أي مساعدات من وزارة العمل أو من أي جهات دينية أو خيرية.

❖ (٦٧)٪ أوضحوا موقفهم من الانتخابات القادمة بعبارة (لا تعني لي شيئاً)،فيما أعرب (٢٣)٪ عن (عدم التأييد) لإجرائها.

❖ وعند سؤال العينة عن التأثيرات التي تركتها البطالة على حالتهم النفسية،اتضح أن (٨٦)٪ باتوا يشعرون بالاكتئاب،وبالعجز،وبضعف الثقة بالنفس.وعند سؤالهم عن تأثيرات البطالة في علاقتهم بعوائلهم،أوضح (٨١)٪ منهم أن العلاقة أصبحت (لا تطاق)،مقابل (١٩)٪ قال بأنها أصبحت (متوترة).

❖ أما عن مشاعر هؤلاء العاطلين من حملة الشهادات نحو وطنهم،فقد وصف (٧٠)٪ منهم شعوره بـ(الاغتراب)،و(١٨)٪ بـ(النفور)،و(٨)٪ بـ(الانتماء)،و(٤)٪ بـ (اللامبالاة).ولم يبد أي من أفراد العينة شعوراً بـ(التعاطف) مع الوطن.

إن قراءة شاملة لمضامين هذه المؤشرات الرقمية،تجعلنا نتلمس استنتاجاً ثلاثي الأبعاد،نضعه أمام أنظار الرأي العام العراقي وكافة أصحاب القرار والتأثير والرأي في الدولة والمجتمع:

١- أمست بطالة أصحاب الشهادات الأكاديمية ظاهرة مزمنة في المجتمع العراقي، لها امتداداتها السابقة والحالية.ولعل التكافل الاجتماعي النسبي الذي تتميز به الأسرة العراقية هو الذي أعان هؤلاء العاطلين على الاستمرار بالحياة،في ضوء تلكؤ الجهات الرسمية والدينية والخيرية بالقيام بدورها المتوقع في إسناد هؤلاء العاطلين.

٢- أدت البطالة المزمنة الى تراكم شعور حاد بالحيف والغيظ والرغبة بالثورة لدى أصحاب الشهادات هؤلاء،يرافقه ادراك واع بأن مسؤولية استمرار حالتهم المعاشية المتردية تقع بالأساس على معطيات الوضع الجديد،الذي يقف الاحتلال الأمريكي في مقدمة احداثياته الفاعلة.ولذلك عبروا بوضوح عن احباطهم وموقفهم العدمي من المشروع السياسي الرسمي المتمثل بالانتخابات.

٣- تركت سنوات البطالة أخاديد مأساوية في نفوس أفراد هذه الشريحة المتعلمة وبعلاقاتهم الأسرية،فضلاً عن انقطاع شبه تام في صلة التعاطف والانتماء لديهم مع محيطهم الاجتماعي،لتحل محلها مشاعر الاغتراب والنفور نحو أهم مفهوم يمنح الحياة الاجتماعية معناها وجذوتها وديمومتها:(الوطن).

إن الدلالة النهائية التي تستشف من هذه المضامين الثلاثة،تؤشر بوضوح أن الطبقة الوسطى(التكنوقراط) التي قوضتها الحروب السابقة،لا تزال بعيدة عن الانتعاش لتستأنف دورها العقلاني في العمليتين السياسية والاقتصادية،بل إنها تعاني من عجز وضمور إضافيين.وهذا يعني في اللغة النفسية أن المكونات (العقلية) للمجتمع العراقي لا تزال معطلة في غيبوبة مستمرة،على حساب نشاط غير اعتيادي لمكوناته (الانفعالية)،وهذا صار ملموساً بشكل تفصيلي لمن يعايش السلوك الاجتماعي اليومي في الشارع العراقي،مما ينبئ بتهرؤ أشد لنسيجنا المجتمعي خلال المرحلة المنظورة القادمة.

الأبعاد التربوية والنفسية لمشروع (المدرسة الصديقة) في كردستان

عمر ابراهيم عزيز
جامعة صلاح الدين

لا بد أولاً من التعريف بمصطلح (المدرسة الصديقة):هي المدرسة التي تهتم بتوفير وتأمين أفضل مناخ تربوي للتلاميذ،من حيث الصفوف بكل تجهيزاتها،وأبنية المدرسة ومستلزماتها،وإعداد المعلم،وتوفير المناخ الديمقراطي بما في ذلك علاقة التلاميذ بالمعلمين وعلاقاتهم ببعضهم،مما يجعلهم يحبون المدرسة،ويصبحون محور العملية التعليمية،ومحور النشاطات داخل المدرسة وخارجها.

خرج مشروع المدرسة الصديقة الى حيز التنفيذ من (منظمة اليونسيف)/فرع أربيل،بالتعاون مع الأستاذ الدكتور (بدرخان السندي).وقد أنيط هذا العمل وتطبيقه بكاتب هذه السطور.وبعد زيارات عديدة الى منظمة اليونسيف،والاطلاع على المصادر،واخذ آراء المختصين،تم اعداد خطة عن هذا المشروع وإمكانية تطبيقه،قدمت في حلقة نقاشية Outline Semi-nar حضره السيد وزير التربية في الاقليم والمدراء العامون ومدراء عدد من المدارس وبعض المشرفين.ثم أقيمت سلسلة من الدورات والندوات التربوية في معاهد اعداد المعلمين وكليات التربية الأساسية في أربيل ودهوك،لإعداد هؤلاء المعلمين لتطبيقه عند تخرجهم.وقد تضمنت هذه الدورات تعريفاً بالمشروع،وبمواصفات المدرسة الصديقة،والمدير والمعلم،وبناية المدرسة وصفوفها وتجهيزاتها،وطريقة التدريس،والمناهج،وحقوق التلاميذ،ودور أولياء الأمور،والحانوت المدرسي،والمكتبة.وقد تم تطبيق المشروع تجريبياً على عدد من المدارس في أربيل ودهوك لمتابعته والتعرف على نتائجه وتقييمها،وتحديد مدى نجاحه ونوع معوقاته،ليتم تطبيقه على مدارس أخرى في المستقبل القريب.

مواصفات المدرسة الصديقة

من المهم معرفة تأثير المدرسة الصديقة نفسياً وتربوياً على التلاميذ،وذلك من خلال تحديد مواصفاتها المادية والمعنوية:

١- بناية المدرسة :

أن تكون واسعة ونظيفة،وتم تجديدها وصبغها،ولها ساحة واسعة وحديقة مليئة بالأشجار،وتملأ حيطانها الصور والرسومات الملونة ذات المعنى،وفيها عدد كاف من المرافق الصحية النظيفة.إن هذه المواصفات كفيلة بتحقيق تأثير نفسي ايجابي في نفوس التلاميذ.فالمدارس التي تبدو كالسجن تجعل التلميذ يشعر بالكآبة وعدم الرغبة بالدراسة.

٢- حقوق التلاميذ :

للتلميذ حق المساواة مع أقرانه،بغض النظر عن الطبقة الاجتماعية والجنس.فالجميع متساوون في الحقوق والواجبات،ويجب احترامهم وعدم اهانتهم،وعدّهم أفراداً نافعين في المجتمع.وللتلميذ الحق في اختيار مجموعته وأصدقائه،واختيار المكان الذي يجلس فيه في الصف.وله الحق في التعبير عن آرائه بحرية،والمشاركة في إدارة الصف عن طريق أخذ دوره في بعض النشاطات والمسؤوليات (تقديم الدرس/المناقشة واعطاء الآراء/أن يصبح قائداً للمجموعة لمدة معينة/ أن يصحح واجبات المجموعة أحياناً/جلب موضوعات عن مادة المنهج من المجلات والكتب والانترنيت).وله الحق في أن يحصل على الماء النظيف،وأن يختار الأطعمة و المواد النظيفة غير الضارة من الحانوت المدرسي.وله الحق في أن يظهر قابلياته الكامنة بمساعدة معلميه،وان يعلموه التفكير الإبداعي والتفكير الناقد لحل مشكلاته ولمواجهة الحياة خارج المدرسة،وتعليمه التسامح والتفاهم وإبعاده عن الأفكار المتزمتة والحقد والكراهية.كما تحفظ حقوقه في اختيار أصدقائه وتقوية علاقاته الاجتماعية.ومن واجباته التي يجب متابعتها هو حفاظه على ممتلكات المدرسة والحفاظ على البيئة بعدم حرق الأشياء أو رمي الأوساخ أو قطف الأزهار.وعليه تحضير واجباته،وتطبيق ما تعلمه في المدرسة في حياته خارج المدرسة،وعليه احترام أصدقائه وعدم اهانتهم،والتعاون مع المدرسة في تحمل المسؤولية.

٣- مدير المدرسة :

أن يكون المدير نشيطاً،وشجاعاً،ومخلصاً،وعادلاً،ومتابعاً،وحر يصاً،وعلاقته ودية مع المعلمين والتلاميذ وأولياء الأمور،مبنية على الاحترام المتبادل.فمثل هذه المواصفات تؤثر في الطلبة وتجعلهم أمام قدوة جيدة يحبون أن يروه يومياً وأن يثقوا به،ويكون مستودعاً لأسرارهم وحلالاً لمشكلاتهم.

٤- المعلم وطريقة التدريس :

المعلم في المدرسة الصديقة،يجب أن يكون فعالاً،وصبوراً،ونظيفاً،ويمتلك مهارة تقييم وتشجيع التلاميذ على التفكير والإبداع وتحمل المسؤولية والمشاركة في النشاطات المختلفة.وأن تكون له رغبة في مهنته،وله مؤهلات المظهر والصوت والشخصية،واستعمال التكنيكات المناسبة في التدريس،وتجديد المعلومات من خلال القراءة الذاتية أو الدورات التدريبية،فضلاً عن القيم السامية التي يحملها والتي تجعل منه قدوة حسنة لتلاميذه في تصرفاته وكلامه وحركاته.كما يتطلب منه القدرة على ربط المواد الدراسية النظرية بالواقع الحياتي،من خلال التدريبات العملية والقيام بالسفرات العلمية لتعزيز فهم المواد لدى تلاميذه.والمعلم الناجح هو الذي يجعل الدرس محبباً للتلاميذ،ويزيد من رغبتهم بالمشاركة فيه،ويتيح الفرصة لهم للتعبير عن آرائهم بتعبيراتهم الخاصة بعيداً عن الحفظ الأصم لما موجود في الكتاب.ففي درس الرسم مثلاً،على المعلم اكتشاف التلاميذ الموهوبين وتشجيعهم من خلال الواجبات الفنية المحببة،وفتح معارض لهم،وتعليق نتاجاتهم في المدرسة،وعمل المسابقات الفنية لهم،وتوفير مرسم ملائم لتطوير قدراتهم.وفي دروس العلوم العامة والزراعة،على المعلم التوكيد على التطبيقات العملية،وجعل التلميذ يزرع ويجرب بنفسه،ويتابع تطور نمو بعض النباتات أو الطيور في حقل يعد لهذا الغرض في المدرسة،ويحث أيضاً على متابعة البرامج العلمية في التلفاز ومناقشتها في الصف.

٥- المكتبة وحانوت المدرسة :

إن توفر غرفة خاصة للمكتبة مليئة بالكتب الملونة والقصص المبسطة ذات المغزى،وتلفاز لعرض الأفلام العلمية عن البيئة والطيور وبعض القصص المفيدة،يزيد من رغبة التلاميذ للقراءة والمطالعة وزيادة المعلومات والتعلم عن طريق أكثر من حاسة.وفيما يتعلق بحانوت المدرسة،فرغبة التلاميذ في اختيار الأشياء التي تباع يجب أن يؤخذ بنظر الاعتبار.كما أن نظافة المواد المباعة تكون ضرورية.والحانوت المدرسي يعد مجالاً خصباً لتطبيق ما تعلمه التلميذ عن النظافة داخل المدرسة.

٦- مجلس الاباء والمعلمين :

من الضروري أن تكون هناك اجتماعات دورية للآباء والأمهات مع إدارة المدرسة لبحث مشكلات التلاميذ وشؤون المدرسة،وأن يتم تشكيل لجنة من الآباء والمعلمين والمدير لمتابعة مستلزمات المدرسة والتغيرات الواجبة في الأساليب التدريسية والمواد الدراسية ومناقشة السفرات العلمية والمشكلات الدراسية والاجتماعية للتلاميذ.إن مثل هذه الاجراءات تعمل على تعزيز الثقة بين الأهالي والتلاميذ والمدرسة،وتطوير شخصية التلميذ سواء من الناحية المعرفية أو الانفعالية.

إذا تم تدريب المدراء والمعلمين بشكل جيد،واذا طبق هؤلاء ما تعلموه في هذه الدورات بشكل صحيح وكامل،واذا تمت متابعة كل هذه الأمور بشكل دقيق،فإن مشروع المدرسة الصديقة سينجح في جعل المدرسة صديقاً ورفيقاً جيداً للتلميذ،وجعله يحب مدرسته ودروسه،ويتعلم بالطريقة الصحيحة بعيداً عن الحفظ الصم،ويطبق ما تعلمه في حياته اليومية،فيؤثر بشكل ايجابي في أسرته ومنطقته،ويكون عضواً فاعلاً في المجتمع.